Al-Tarikh Va Al-Hazarah Al-Islamiyah
Royat Al-Mu'asirah
ISSN: 2783-5154

From the Arbaeen of Imam Husayn to the New Islamic Civilization: A Reading in the Horizon of Civilizational Transformation*

Abdul Karim Hassanpur
Assistant Professor at Al-Mustafa International University and the University of Religions and Denominations, Qom.

Abstract

In recent decades, the Arbaeen pilgrimage of Imam Husayn has emerged as one of the most prominent religious and social phenomena in the Islamic world, due to its massive participation, the expansion of its symbolic and cultural dimensions, and its gradual transformation into a transnational and trans-sectarian event. This growing reality has generated new epistemological questions regarding the nature of this ritual and the possibility of integrating it into the project of constructing contemporary Islamic civilization.

This study seeks to examine how the Arbaeen pilgrimage can transcend the level of a purely religious ritual and, within the framework of the "New Islamic Civilization" project, become a "civilizational driving force." Accordingly, the study evaluates the potential of this phenomenon to be situated within a comprehensive civilizational vision aimed at shaping collective consciousness and strengthening contemporary human revival.

* Hssanpur A. (2025). From the Arbaeen of Imam Husayn to the New Islamic Civilization: A Reading in the Horizon of Civilizational Transformation. *Al-Tarikh va Al-Hadarah al-Islamiyah; Ruyat al-Mu'asirah, 5*(2), pp. 152-179.
https://doi.org/10.22081/ihc.2026.73246.1097

▣ **Article Type:** Research; **Publisher:** Islamic Sciences and Culture Academy
▣ **Received:** 2024/06/23● **Revised:** 2024/09/04● **Accepted:** 2025/01/15● **Online Publication:** 2025/06/10

© 2025
authors retain the copyright and full publishing rights

The central hypothesis of the research posits that the Arbaeen pilgrimage, while benefiting social, spiritual, and mobilizing capacities, represents one of the potential pathways for civilizational transformation in the Muslim world. Nevertheless, the realization and activation of this potential require placing the phenomenon within a coherent and goal-oriented epistemological framework and civilizational vision.
The findings indicate that the latent dimensions of this event—namely its massive popular gathering, value-based symbolism, broad social extension, and transnational character—contain the key components of a distinctive civilizational project. Such a project can contribute to shaping a mission-oriented collective consciousness and activating dynamics of change within Islamic societies. The realization of this potential is possible only through reorienting this phenomenon within an integrated civilizational strategy—one that balances the spirituality of the ritual with the requirements of civilizational development, and transforms it from a spontaneous popular act into a conscious action with a long-term civilizational dimension.

Keywords
Arbaeen pilgrimage; Islamic civilization; civilizational transformation; religious rituals; collective consciousness.

التاريخ والحضارة الإسلامية
رؤية معاصرة
ISSN: ٢٧٨٣-٥١٥٤

من الأربعين الحسيني إلى التمدّن الإسلامي الجديد: قراءة في أفق التحوّل الحضاري*

السيّد عبدالكريم حسن‌پور

أستاذ مساعد في جامعة المصطفى العالمية و جامعة الأديان والمذاهب، قم، ايران.

الملخص

أصبحت زيارة الأربعين الحسيني في العقود الأخيرة من أبرز الظواهر الدينية والاجتماعية في العالم الإسلامي، نظرًا لاتّساع نطاقها البشري، وتزايد أبعادها الرمزية والثقافية، وتحوّلها التدريجي إلى ظاهرة عابرة للحدود الجغرافية والطائفية. وقد فرض هذا الواقع المتنامي أسئلة معرفية جديدة حول طبيعة هذه الشعيرة، وإمكان إدماجها ضمن مشروع بناء تمدّن إسلامي معاصر.

وتنطلق الدراسة من إشكالية ترتبط بإمكانات تحوّل زيارة الأربعين من شعيرةٍ دينيةٍ شعبيّة إلى رافعة حضارية تندرج ضمن مشروع التمدّن الإسلامي الجديد، إذ يُراد فحص مدى قابليتها للاندماج في رؤية حضارية شاملة تُعنى ببناء وعي جمعيّ ونهضة إنسانية معاصرة. وترتكز فرضيّتها الرئيسة على أن زيارة الأربعين، بما تنطوي عليه من طاقات اجتماعية وروحية وتعبوية، تمثّل أحد المسارات الممكنة للتحوّل الحضاري. غير أنّ تفعيل هذه الإمكانية يتطلب إدراجها ضمن سياق معرفيّ ورؤيويّ منسجم.

* حسن‌پور، السيّد عبد الكريم. (٢٠٢٥م). من الأربعين الحسيني إلى التمدّن الإسلامي الجديد: قراءة في أفق التحوّل الحضاري. التاريخ والحضارة الإسلامية، رؤية معاصرة، ٥(٢)، صص ١٥٢-١٧٩.
https://doi.org/10.22081/ihc.2026.73246.1097

© المؤلفون * **نوع المقالة:** مقالة بحثية * **الناشر:** المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية.

تاريخ الإستلام: ٢٠٢٤/٠٦/٢٣ ● **تاريخ التعديل:** ٢٠٢٤/٠٩/٠٤ ● **تاريخ القبول:** ٢٠٢٥/٠١/١٥ ● **تاريخ الإصدار:** ٢٠٢٥/٠٦/١٠

وقد توصّلت الدراسة إلى أن الأبعاد الكامنة في هذه الشعيرة، من حيث احتشادها الجماهيري، ورمزيتها القيمية، وامتدادها الاجتماعي الواسع، وطابعها العابر للحدود، تحمل مقوّمات مشروع تمدّني متميّز يمكن أن يسهم في تشكيل وعيٍ جماعيّ رساليّ، وتفعيل ديناميّات التغيير في المجتمعات الإسلامية. وهذا لا يتحقّق إلا من خلال إعادة توجيه هذه الظاهرة في إطار استراتيجية حضارية متكاملة، توازن بين روحانية الشعيرة ومتطلّبات البناء المدني، وتحوّلها من فعل شعبي تلقائي إلى ممارسة واعية ذات بُعد حضاريّ طويل الأمد.

الكلمات المفتاحية

الأربعين الحسيني، التمدّن الإسلامي، التحوّل الحضاري، الشعائر الدينية، الوعي الجمعي، المشروع الحضاري الإسلامي.

المقدمة

تشكّل الحضارات لا يتمّ بمعزل عن الفاعليّات الرمزيّة والمناسبات الكبرى التي تجمع بين البُعد الروحيّ والبُعد الاجتماعيّ، وتُعيد تشكيل الوعي الجمعيّ على أساسٍ قيميّ يتجاوز الانقسامات العِرقيّة والمذهبيّة والجغرافيّة. من هذا المنطلق، تبرز زيارة الأربعين الحسينيّ بوصفها ظاهرةً دينيّة ـ اجتماعيّة ذات طابع تعبويّ، تحمل في مضامينها ما يؤهّلها للمساهمة الفعّالة في مشروع التمدّن الإسلاميّ الجديد.

إنّ المسيرة المليونيّة التي تنطلق سنويًّا من أنحاء مختلفة من العراق، ويشارك فيها الملايين من شتّى البلدان[1]، تُعبّر عن مشاعر دينيّة عميقة وتجسّد في الوقت نفسه حالة تعبئة اجتماعيّة واسعة النطاق، تتّسم بمجموعة من القيم كالتطوّع، والتكافل، والانضباط الجماعيّ، والانفتاح بين المذاهب والأعراق، بما يجعلها تتجاوز الطابع الشعائريّ التقليديّ إلى بُعدٍ اجتماعيّ فاعل.

ويظهر البعد الحضاريّ لهذه الظاهرة من خلال منظومتها القيميّة التي تتجسّد في الضيافة المجّانيّة، وتكثيف الأنشطة الخيريّة، وبناء الهياكل المجتمعيّة غير الرسميّة، والتعامل بين مكوّنات الأمّة بمنطق المشاركة والمحبّة. كما يُلاحَظ تنامي الوعي التنظيميّ لدى شرائح واسعة من المشاركين، في ظلّ غياب أيّ إطار رسميّ مباشر يُشرف على هذه المسيرة.

وتأسيسًا على ما تقدّم، تسعى هذه الورقة إلى الإجابة عن سؤالٍ مركزي

[1] بحسب الإحصائية الرسميّة الصادرة عن مركز كربلاء للدراسات والبحوث التابع للعتبة العباسيّة المقدّسة، بلغ عدد المشاركين في زيارة الأربعين لعام ١٤٤٦هـ (٢٠٢٤م) ما مجموعه ٥٢٥/٤٨٠/٢١ زائرًا، وذلك اعتمادًا على منظومة العدّ الإلكتروني الذكي التي رصدت أعداد الداخلين من المنافذ الأربعة الرئيسة المؤدية إلى كربلاء المقدسة. ووفقًا لبيانات الجهات الرسمية العراقية، فقد بلغ عدد الزائرين العراقيين أكثر من ١٥ مليونًا، في حين قُدّر عدد الزائرين غير العراقيين بما يزيد على ٦ ملايين، تصدّرهم الزائرون الإيرانيون بأكثر من ٣,٦ ملايين، تلاهم القادمون من باكستان، الهند، أفغانستان، تركيا، دول الخليج، وبلدان أوروبا وأفريقيا. (المصدر: موقع مركز كربلاء للدراسات): https://c-karbala.com/content/10329?v=1

مفاده: إلى أيّ مدى يمكن النظر إلى زيارة الأربعين بوصفها ظاهرةً تتجاوز حدود الشعيرة إلى إمكانات حضارية أوسع، قابلة للاندراج ضمن مشروع التمدّن الإسلاميّ المعاصر؟ وما هي أبرز العناصر القيمية والاجتماعية التي تمنحها هذه القابلية؟

وتعتمد الدراسة منهجًا وصفيًا-تحليليًا قائمًا على قراءة مفاهيمية للأبعاد الحضارية والاجتماعية للظاهرة، دون أن تستهدف تقديم دراسة ميدانية إحصائية أو تحليلًا تاريخيًا تفصيليًا لمسار تشكّلها.

وبناءً على ذلك، تحاول الورقة تأمّل أفق التحوّل الحضاريّ الذي يمكن أن تُسهم فيه ظاهرة الأربعين الحسينيّ، من خلال رصد المؤشّرات الاجتماعيّة، وتحليل عناصر القوّة في بنيتها، والبحث في إمكانات نقلها من طقس شعائريّ إلى قاعدةٍ من قواعد التمدّن الإسلاميّ المعاصر.

أ. تعريف المفاهيم

١. الأربعين الحسيني

كلمة «الأربعين» تدلّ في اللغة العربيّة على العدد «أربعون» وهو عدد تامّ يُستعمل للدلالة على الكمال أو التمام في كثير من السياقات. يقول ابن فارس: «الراء والباء والعين أصلٌ يدلُّ على عددٍ معلوم» (ابن فارس، ١٩٧٩، ج ٢، ص ٤٥١). وورد في لسان العرب أنّ الأربعين تستخدم للتعبير عن استكمال مرحلة أو بلوغ غاية زمنيّة (ابن منظور، ١٤١٤، ج ٤، ص ٢٢٩).

وأمّا في الاصطلاح الشيعيّ، يُطلق «الأربعين الحسيني» على اليوم الأربعين من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، حيث يُعدّ من أبرز الشعائر الدينيّة المرتبطة بثقافة الزيارة والمواساة، ويُحييه الملايين سنويًّا من خلال المسير إلى كربلاء. وقد ورد في بعض الروايات حثٌّ على زيارتها، منها ما رواه الإمام العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس... وزيارة الأربعين» (الطوسي، ١٤١٧، ج٦، ص٥٢) ممّا

يعطي الشعيرة مشروعيّة نصّيّة معتبرة في التراث الإمامي.

وقد تحوّلت هذه الزيارة، ولا سيّما في العقود الأخيرة، إلى ظاهرة جماهيريّة عالميّة، حيث يشارك فيها الملايين من مختلف الجنسيّات، وتتميّز بمظاهر فريدة من الضيافة الشعبيّة، والخدمة التطوّعيّة، والانسجام الاجتماعيّ. وتُعدّ من أكبر التجمعات السلميّة في العالم.

٢. التمدّن الإسلامي

تُشتَقّ لفظة «التمدّن» في اللغة العربيّة من الجذر «مدن»، ويُراد بها الاستقرارُ والإقامةُ مكانٍ ما (ابن منظور، ١٤١٤، ج ١٣، ص ٤٠٢). أمّا مصطلح «التمدّن» أو «الحضارة» (civilization) ، الذي شاع استخدامه في أوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، فقد تفرّعت حوله تعاريف عديدة لدى الكُتّاب والمفكّرين، كلٌّ بحسب زاويته وتحليله. فمنهم مَن عرّف الحضارة بأنّها نظامٌ اجتماعيٌّ شامل يضمّ الأبعاد السياسيّة والاقتصاديّة والقانونيّة والتربويّة في إطارٍ جغرافيّ واسع (آشوري، ١٣٨١، ص، ١٢٨). ويُعرّفها ويليام ديورانت بأنّها «نظامٌ اجتماعيّ يُتيح للإنسان التعاون الفعّال من أجل تحقيق الأمن وزيادة الإنتاج، ويُمهّد الطريق لقبول ثقافة مشتركة» (ويليام ديورانت، ١٣٦٥، ج، ١، ص ٣). في حين يصفها لنتون بأنّها «نسقٌ من الأفعال والأفكار يكتسبها أفراد المجتمع من الأجيال الأكبر سنًّا، ثمّ ينقلونها إلى الأجيال اللاحقة" (لينتون، ١٣٧٧، ص ٣).

ويرى نصير الدين الطوسي، في كتابه الأخلاق الناصريّة، أنّ التمدّن مُشتقّ من «المدينة»، وهي عنده البُنية الاجتماعيّة التي يجتمع فيها الناس، ويتوزّعون فيها الأعمال والمِهَن لتحقيق حاجاتهم المعيشيّة (الطوسي، د.ت، ص٢٨١).

وفي الاستعمالات المعاصرة، غالبًا ما يُنظر إلى التمدّن باعتباره مرادفًا لمفهوم «المدينة» أو «الحياة المدينيّة» (آذرنگ، ١٣٩٠، ص ١٥).

إنّ لفظ «التمدُّن» في اللغة العربيّة مشتقّ من الجذر «مدن»، ويُفيد معنى

الاستقرار والإقامة في مكانٍ ما (ابن منظور، ١٤١٤، ج ١٣، ص ٤٠٢). أمّا مصطلح «التمدُّن» أو «الحضارة» (civilization)، الذي شاع استخدامه في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد انتقل إلى اللغة الإنجليزيّة من الأصل اللاتيني «civis»، والذي يعني «المواطن» أو «الساكن في المدينة». ويُشير هذا المصطلح، بالإضافة إلى مفهوميّ التمدّن والسكن الحضري، إلى مظاهر التقدّم والرقيّ في حياة المجتمعات الإنسانيّة.

يُشكّل مفهوم «التمدّن» أحد المفاهيم المحوريّة في الفكر الإسلامي المعاصر، ويمثّل نقطة التقاء بين الحقول المعرفية المتعدّدة التي تحاول فهم العلاقة بين الدين والمجتمع، وبين الثقافة والحضارة. ولا يُقصد بالتمدّن مجرّد التقدّم التقنيّ أو العمرانيّ، بل يُفهم باعتباره منظومة شاملة تتعلّق بكيفيّة تموضع الإنسان في التاريخ، وتنظيم علاقاته الاجتماعيّة والسياسيّة والرمزية في إطار من القيم والمعاني المستمدة من نظرته إلى الوجود.

وفي هذا السياق، يُمكن تعريف «التمدّن الإسلاميّ» بأنّه منظومة حضاريّة متكاملة تستند في مرجعيّتها ومنطلقاتها إلى الوحي الإلهيّ، وتستمدّ مبادئها وأسسها من تعاليم الإسلام وقيمه العليا. ويقوم على الإعلاء من شأن الإنسان بوصفه كائناً مُكرَّماً في أصل الخلقة، يتمتّع بحقوق وكرامة لا تُقاس بانتمائه الطبقيّ أو العرقيّ، بل تنبع من إنسانيّته التي صانها الإسلام وأكّد على حُرمتها. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الحجرات، ١٣).

ورغم نشأته في بيئة بسيطة من الناحية المادّيّة - شبه الجزيرة العربيّة-، والتي كانت تفتقر إلى مؤسّسات إداريّة منظّمة أو خبرات عمرانيّة متقدّمة، إلّا أنّه استطاع، في فترة زمنيّة وجيزة، أن يؤسّس لبنية حضاريّة متميّزة، قائمة على المعايير الإيمانيّة والإنسانيّة، ومؤهّلة لتوجيه المجتمعات نحو النهوض والتقدّم وفقًا للمنظومة الإسلاميّة (نصر، ١٣٨٤، ص ١١).

فالتمدّن الإسلاميّ يُمثّل تعبيراً عن نظام قيميّ وسلوكيّ منبثق من تعاليم

الإسلام ومقاصده العليا، ويتجسّد في نمطٍ من الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة، قائمٍ على مبادئ العدل، والكرامة، والتكافل، والمعرفة، بما يحقّق صلاح الإنسان والمجتمع، ويتميّز التمدّن الإسلاميّ بارتباطه الوثيق بالأبعاد الأخلاقيّة والروحيّة، خلافًا للنماذج الحداثيّة التي تفصل بين القيم والممارسات الحضاريّة. ومن هنا، فإنّ أيّ مشروع للتمدّن الإسلاميّ لا بدّ أن يستند إلى قاعدة ثقافيّة وشعائريّة تعزّز الانتماء وتبني الهويّة الجماعيّة (حسن حنفي، ١٩٩٤، ص ٧٩؛ مالك بن نبي، شروط النهضة، ص ٦٦).

٣. التحوّل الحضاري

هذا المصطلح يُعَدّ من المفاهيم الحديثة نسبيًا في الدراسات الاجتماعية والفكرية، ويشير إلى انتقال مجتمعٍ ما من حالة ثقافية أو اجتماعية أو معرفية إلى حالة جديدة أكثر تطوّرًا وشمولًا. في المعاجم اللغوية، يدلّ «التحوّل» على التبدّل من حالٍ إلى حال، كما ورد في لسان العرب: «تحوّل الشيء: تغيّر وانتقل عن حالٍ إلى حال» (ابن منظور، ١٤١٤، ج ١١، ص ١٧١). وأمّا «الحضارة»، فهي كما ورد سابقًا: الحالة المتقدمة من العمران والثقافة والمعرفة التي يبلغها مجتمعٌ بشري في مجالات الحياة المختلفة.

أمّا في الاستعمال الاصطلاحي المركّب، فإنّ «التحوّل الحضاري» يشير إلى عمليّة تراكمية ترافقها تحوّلات في البنية الثقافية والقيمية والمعرفية والسياسية لمجتمعٍ ما، بحيث تؤدّي إلى نشوء نمط حضاري جديد. هذا النمط قد يكون رديفًا لحضارة قائمة، أو منطلقًا لتأسيس حضارة مغايرة ذات رؤية عالمية جديدة. وقد تحدّث مالك بن نبي عن هذا النوع من التحوّل بوصفه انتقالًا من «القابلية للاستعمار» إلى «القابلية للبناء الحضاري»، مشيرًا إلى دور الأفكار والدين والقيم في صناعة هذا التحوّل (مالك بن نبي، ٢٠٠١، ص ٢٨-٣٢).

ويؤكّد عدد من المفكّرين المعاصرين أنّ التحوّلات الحضارية لا تحدث تلقائيًّا،

بل تتطلّب عوامل متعدّدة منها: وجود وعي جماعيّ بالهويّة والرسالة، توفّر زخم ثقافيّ وروحيّ مشترك، وإرادة مجتمعية قادرة على التعبئة والتحمّل. ويرى طه عبد الرحمن أنّ التحوّل الحضاري الحقيقي يبدأ من إصلاح الفرد ومشروع بناء الذات، مرورًا بإعادة تأسيس علاقة الإنسان بالعالم، على أساس من الأخلاق والتوحيد (طه عبد الرحمن، ٢٠١٢، ص ١١٢-١١٥).

في ضوء ذلك، يُمكن اعتبار «التحوّل الحضاري» مشروعًا تراكميًّا يسهم فيه التاريخ والدين والفكر والمجتمع، ويمثّل انتقالًا من مجرّد الاستجابة للتحدّيات إلى ابتكار رؤية متكاملة تُعيد تشكيل الوعي والواقع معًا. وفي السياق الإسلامي المعاصر، يشير هذا المفهوم إلى إعادة تفعيل مقوّمات الحضارة الإسلامية عبر تجارب روحية وشعائرية ذات طابع تعبويّ، مثل زيارة الأربعين الحسيني، لما تحمله من طاقة رمزية ومعنوية وشبكية مؤثّرة.

وفي هذا السياق، تُمثّل مسيرة الأربعين الحسيني واحدةً من أبرز الطاقات الكامنة في مشروع التحوّل الحضاريّ المعاصر؛ إذ تتجاوز هذه الظاهرةُ كونَها مجرّد ممارسة شعائريّة، لتُصبح حدثًا جمعيًّا يستبطن أبعادًا تربويّة، تعبويّة، وأخلاقيّة يمكن توظيفها في بناء الوعي الرساليّ، وتوجيه الرأي العام نحو غاياتٍ أكبر من مجرّد الإحياء العاطفيّ.

إنّ ما تمنحه الأربعين من أفقٍ مستقبليّ، يتمثّل في قدرتها على تشكيل وعيٍ حضاريّ يستند إلى مفاهيم مثل التضحية، والعدالة، والتكافل، والخروج من الذات الفرديّة نحو الجماعة الرساليّة. فالحضارة لا تقوم إلا إذا ارتكزت على حركة اجتماعيّة واعية، تمتلك رؤيةً واضحة، ومسارًا منظّمًا، وهدفًا أخلاقيًّا ومصيريًّا تتّجه إليه.

ومن هنا، فإنّ البناء الحضاريّ لا يكتفي بإنتاج الأنظمة والهياكل، بل يشمل إعادة صياغة السلوك الإنسانيّ، وتوجيهه نحو التزكية والنهوض، الأمر الذي يُمكن لمسيرة الأربعين أن تُسهِم فيه بوصفها ساحةً حيّةً لتجربة دينيّة جماعيّة تُنتج التحوّل في الوعي والممارسة.

وقد ناقش بعض الباحثين المعاصرين فكرة التحوّل الحضاريّ في ضوء الشعائر، معتبرين أنّ المناسبات الكبرى مثل الأربعين تمثّل لحظة إمكانيّة لهذا التحوّل (جعفر الشيخ إدريس، ٢٠٠١).

ب. العوامل والمكوّنات التأسيسيّة للتمدّن

تمثّل العمليّة التمدّنيّة ـ في منطلقها النظريّ والتطبيقيّ ـ مشروعًا مركّبًا يتأسّس على منظومة من القيم والمفاهيم والآليّات التي تُعيد صياغة بنية المجتمع على أسس حضاريّة، تُزاوج بين الهويّة الدينيّة والوظيفة العمرانيّة. ولا يمكن مقاربة أيّ ظاهرة حضاريّة معاصرة، ومنها زيارة الأربعين، من دون الوقوف على المقوّمات التي تُشكّل القاعدة البنيويّة لأيّ تحوّل حضاريّ مستدام.

ومن هنا، فإنّ المرحلة التحليليّة الأولى تقتضي البحث في العناصر النظريّة المؤسِّسة لصناعة التمدّن، ثمّ الانتقال إلى مظاهر تجلّي هذه العناصر في المسيرة الأربعينيّة.

١. بناء الأمّة

إنّ النهوض الحضاريّ لأيّ مجتمع لا يمكن أن يتحقّق إلّا ضمن كيانٍ جمعيّ موحَّد ينهض بوظائف الرسالة، ويعبّر عن وحدة الهويّة، وترابط المصير والمبادئ. وهذا ما يُطلق عليه في الأدبيّات القرآنيّة والاجتماعيّة بمفهوم «الأمّة». فبناء الأمّة لا يقتصر على إنشاء وحدة سياسيّة أو تنظيميّة، بل يشمل تأسيس رابطة وجدانيّة وعقائديّة عميقة تُوحِّد بين الأفراد حول غاية أخلاقيّة ومشروع حضاريّ مشترك. وفي هذا الإطار، يشكّل الاجتماع على الإيمان والولاء محورًا مركزيًّا في بناء الأمّة، كما يُلاحظ في نماذج قرآنيّة وتاريخيّة متعدّدة، مثل بيعة المسلمين للنبيّ صلى الله عليه وآله، أو في تجمّع الملايين في مسيرة الأربعين الحسيني.

ومن العناصر الفاعلة في عمليّة بناء الأمّة، الشعور بالأخوّة الإيمانيّة، وهو مبدأ

قرآني صريح، عبّر عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات، ١٠). فهذه الرابطة لا تقوم على أساس القرابة الجغرافيّة أو العرقيّة، بل على وحدة الإيمان والانتماء الرسالي، ما يجعلها قادرة على إحداث حالة من التماسك الاجتماعي والتضامن الفعّال في مواجهة الأزمات. إنّ هذا الإحساس العميق بالانتماء المشترك، حين يتفعّل في الواقع، يُنتج سلوكًا جماعيًّا متجانسًا، ويُسهم في توجيه الطاقات نحو غاية واحدة.

ومن هنا، فإنّ وحدة الأمّة ليست حالة وجدانيّة عابرة، بل وظيفة قرآنيّة تأسيسيّة، أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران، ١٠٣)، وهي القاعدة التي تقوم عليها عمليّة البناء الحضاريّ في الإسلام.

في هذا السياق، تُمثّل مسيرة الأربعين أنموذجًا معاصرًا لتجسيد مبدأ وحدة الأمّة، حيث تجتمع فيها أطيافٌ متنوّعة من الأعراق، واللغات، والثقافات، والانتماءات السياسيّة ضمن فضاء شعائريّ موحَّد، يعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع، ويكرّس مبدأ الانتماء إلى أمّة تتجاوز الحواجز الجغرافيّة والطائفيّة. هذه المسيرة، بما تحمله من رمزيات عاشورائيّة، وطاقات شعبيّة تعبويّة، تمثّل حالة عمليّة حيّة لإعادة إنتاج الجماعة الرساليّة حول محور جامع، هو الإمام الحسين عليه السلام، الذي بات رمزًا للهويّة، ومركزًا لإحياء القيم، ومحرّكًا للوعي الجمعيّ المشترك.

ومن هذا المنطلق، فإنّ مسيرة الأربعين لا تُعدّ مجرّد تجمّع شعائري، بل تُوفّر أرضيّة خصبة لبناء الأمّة، شريطة توافر مقوّماتها البنيويّة والمعرفيّة؛ ومن أبرزها: تفعيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كآليّة رقابيّة ومجتمعيّة ضامنة لوحدة الاتجاه، وتعزيز الوعي الرساليّ القادر على مواجهة الانحرافات الفكريّة والسلوكيّة. كما أنّ الموجات المتعاقبة من الصحوة الإسلاميّة، لا سيّما في العقود الأخيرة في المنطقة العربيّة والإسلاميّة، تُشكّل فرصةً تاريخيّة لإعادة بعث المشروع الأمميّ على أساسٍ توحيديّ، تنبع مركزيّته من واقعة كربلاء، وتستمدّ رمزيّتها من شخصية الإمام الحسين عليه السلام، بما هي مرجعيّة جامعة للهوية الرسالية والمصير المشترك.

٢. تعزيز مبدأ العدالة

يُعدّ العدل من الركائز المركزيّة لأيّ مشروع حضاريّ، إذ لا يمكن بناء مجتمع متمدّن دون أن تُحترم فيه حقوق الإنسان وتُصان كرامته ويُعامل أفراده على قاعدة المساواة والإنصاف. فالمجتمعات التي يسود فيها الظلم والاستبداد تُفضي حتمًا إلى التقهقر والانهيار، بينما تكون العدالةُ الشرطَ البنيويَّ لنهوض الأمم وتحقيق التمدّن المستدام. وقد أولى الإسلامُ هذا المبدأ اهتمامًا بالغًا، وجعله من مقاصد الرسالات السماويّة، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ (الحديد، ٢٥).

لقد مثّلت نهضة الإمام الحسين عليه السلام نموذجًا متفرّدًا في الدفاع عن القسط، ومقاومة الظلم، وبناء مجتمع يقوم على العدل الإلهيّ، لا على الاستبداد الأمويّ القائم على السطوة والتمييز الطبقيّ. وكان عليه السلام يؤكّد أنّ الإمام الحقيقيّ هو «**الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله**» (المفيد، ١٤١٢، ج ٢، ص ٣٩)، أي أنّ جوهر القيادة الشرعيّة هو العدل القرآنيّ لا السلطة القهريّة.

ومن هنا، فإنّ ثورته لم تكن حدثًا عابرًا في التاريخ، بل كانت امتدادًا لنهج النبوّة في إقامة الحقّ والعدل، كما جاء في قول الإمام الصادق عليه السلام: «**الْحُسَيْنُ ... وَارِثُ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ ... وَارِثُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ... وَارِثُ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ ... وَارِثُ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ ... وَارِثُ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ**» (الصدوق، ١٣٥٦، ص ٣٢٢). ووراثة الأنبياء هنا، تعني وراثة المشروع الإصلاحيّ التغييريّ الذي يهدف إلى إقامة ميزان القسط بين الناس، كما في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ (الحديد، ٢٥).

وقد تجلّت معاني العدل في نهضة كربلاء من خلال مساواة الإمام بين أنصاره، والتفاف الناس من مختلف الأنساب والمشارب حول مبدأ جامع لا

يفرّق بين عبد وحرّ، ولا بين عربيّ ومولى، بل يتّحد الجميع تحت راية الدفاع عن المظلوم ومواجهة الجور.

واليوم، تُعيد مسيرة الأربعين إحياء هذه القيم وتفعيلها في الواقع الاجتماعيّ، إذ تتحوّل من مجرّد تظاهرة شعائريّة إلى فضاء حواريّ عالميّ، يتلاقى فيه المؤمنون على مشروع الإمام الحسين عليه السلام الهادف إلى العدالة والإصلاح والسلام. إنّ الملايين الذين يسيرون في درب الأربعين، إنّما يعلنون انتماءهم إلى نهج يرفض الظلم، ويدعو إلى إعادة بناء المجتمع الإنسانيّ على أساس التكافؤ الحقوقيّ والمعنويّ، ويتخذ من الإمام الحسين عليه السلام رمزًا عالميًّا لقضيّة الإنسان ضدّ الاستبداد والطغيان.

ومن هنا، تُجسّد زيارة الأربعين الحسينيّ حضورًا رساليًّا نابضًا يعبّر عن الإصرار على تحقيق العدالة في واقع الإنسان المعاصر، انطلاقًا من رؤية حضاريّة تقوم على توازن القيم وترسيخ المبادئ، وتُواجه منطق القهر والاستبداد بمنطق الحقّ والكرامة.

٣. الصبرُ والمقاومةُ أمام التحدّيات

تُعدّ الاستقامةُ في مواجهة المحن، والصبرُ في وجه التهديدات، من اللبنات الأساسيّة في بناء الحضارات الراسخة. فليست المجتمعات المتمدّنة تلك التي تخلو من التحدّيات، بل التي تُحسن إدارتها وتحويلها إلى محفّزات للنهوض والبناء. وقد ركّز القرآن الكريم على هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ (النساء، ١٠٤). أي إنّ الفرق الجوهريّ ليس في وجود الألم، بل في مصدر الرجاء ودافعيّة الاستمرار والمقاومة. فالمجتمع الرساليّ لا يستسلم للابتلاء، بل يستند إلى أفقٍ توحيديٍّ يحرّكه الأمل في الله والوعي بالغاية.

ومن هذا المنطلق، كانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام من أبرز النماذج التي

جمعت بين الرفض الواعي للطغيان، والصبر الرساليّ في مقاومة الباطل. لقد كان هدفه الأساسيّ إحياء روح المقاومة في وجه الانحراف والظلم، كما عبّر عن ذلك في خطبه ومواقفه المتكرّرة. ولم تكن مقاومته مجرّد موقف عسكريّ، بل مشروعًا ثقافيًّا وأخلاقيًّا يُعيد صياغة العلاقة بين المؤمن والظلم، ويغرس في الوجدان الجماعيّ ثقافة الصبر الواعي والثبات الواعي.

وقد أدرك أعداء الحقّ منذ البداية خطورة هذه الثقافة، فسعوا إلى تشويه الشعائر الحسينيّة، وإفراغها من محتواها التعبويّ، وتحويلها إلى طقوسٍ منفصلة عن الواقع. إلّا أنّ أربعين الحسين عليه السلام أعادت لهذه الشعائر معناها الرساليّ، وأثبتت أنّ الحداد يمكن أن يكون سلاحًا، والعزاء يمكن أن يتحوّل إلى فعل مقاومة وبناء. وكان الإمام عليه السلام رغم عظمة المصيبة، يحرص على تثبيت قلوب أهله وأصحابه بالصبر والتوكّل، كما في وصيّته لأخته زينب عليها السلام:

«إيهاً يا أُختها! إتّقي الله، وتَعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأنّ أهل السماء لا يَبقون» (المقرّم، ١٤٢٦، ص٢١٧).

فهذا النوع من التوصية لم يكن مجرّد تعزية وجدانيّة، بل كان منهجًا في صناعة الإنسان الرساليّ الذي لا تزعزعه المصائب، ولا تهزّه الضغوط .وقد ظهرت آثار هذا المنهج بوضوح في يوم عاشوراء، حيث لم يُرَ من نساء أهل البيت أو أطفالهم ذلٌّ أو خضوع، بل كان الحزن محفوفًا بالعزّة، والمأساة مكلّلةً بالكرامة. فصبرهم لم يكن صبرًا سلبيًّا، بل قوّةً خلّاقةً تستمدّ معناها من الإيمان والموقف.

وهكذا، فإنّ المسيرة الحسينيّة ومسيرة الأربعين معًا تمثّلان ترجمةً حيّةً لهذا الصبر الواعي والمقاومة الحضاريّة، وتشكّلان أرضيّةً رمزيّةً لبناء مشروعٍ مقاومٍ ضدّ ثقافة التواطؤ والخضوع، ولتحويل الألم الجمعيّ إلى طاقةٍ تمدنيّة تصنع المستقبل.

٤. الفكر الإصلاحيّ

من الثوابت الأساسيّة في أيّ مشروع حضاريّ أصيل، أن تكون له قدرةٌ

تجديديّة تُقاوم السكون، وتُعيد تصويب مسار المجتمع إذا انحرف عن القيم والمقاصد العليا. ومن هنا، يُمثّل الإصلاح عاملًا بنيويًّا في بناء الحضارات الحيّة، إذ لا يمكن تصوّر تمدّن متجذّر دون مراجعة نقديّة داخليّة، وإرادة إصلاح واعية تُفعّل مكامن القوّة، وتستأصل منابع الانحراف والتآكل.

وقد رسّخت المنظومة الإسلاميّة هذا المفهوم في مستوياتها المختلفة، بدءًا من إصلاح الذات، ومرورًا بإصلاح البُنى الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، ووصولًا إلى الإصلاح العالميّ في آخر الزمان. وجاءت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجسيدًا لمبدأ الرقابة القيميّة في البناء الاجتماعيّ، ومنظومةً لحماية الوعي العام من الاستسلام للفساد والظلم.

وقد أبرز الشهيد مرتضى مطهّري هذا البُعد الحضاريّ للإصلاح بقوله: «الإصلاحات الجزئيّة والبطيئة تُمثّل دعمًا لحركة الإنسان الباحث عن الحقّ، وتُسرّع من وتيرة حركة التاريخ لصالح أهل الحقّ، في حين أنّ الفساد والانحلال والفسق تُبطئ من هذا المسار، وتُضعف جبهة الحقّ» (مطهّري، ١٣٩٠، ج ٢٤، ص ٤٢٨).

وهذا يعني أنّ الإصلاح يُمثّل ضرورةً أخلاقيّةً ووظيفةً تاريخيّةً في آنٍ واحد، تُسهِم في تحفيز حركة الأمّة نحو النهضة، وتسريع ديناميّات التحوّل الحضاريّ في اتّجاهات إيجابيّة مستندة إلى القيم.

وفي هذا الإطار، تُعدّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام ذروة الممارسة الإصلاحيّة في التاريخ الإسلاميّ، حيث أعلن عليه السلام صراحةً في وصيّته الخالدة: «**إنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي**» (المجلسي، ١٩٨٣، ج٤٤ ص ٣٢٩؛ ابن شهر آشوب، ١٩٩١، ج ٤، ص ٨٩).

ويمثّل هذا البيان إعلانًا صريحًا لمرتكزات المشروع الحسينيّ، حيث يُعيد رسم خارطة الطريق للإصلاح الدينيّ والاجتماعيّ والسياسيّ في المجتمع الإسلاميّ. ويُقدّم في الوقت نفسه أساسًا معرفيًّا ومنهجيًّا متكاملًا لتجديد الهويّة الدينيّة على

ضوء مقاصد الوحي، وتوجيه البنية الاجتماعيّة نحو العدالة والوعي، وتصويب المسارات السياسيّة بما ينسجم مع القيم العليا، فضلًا عن إحياء المرجعيّة الأخلاقيّة والقيميّة في الفضاء العامّ، بوصفها عنصرًا حاسمًا في نهضة المجتمعات.

وقد ارتكز الإصلاح الحسينيّ على إحياء رسالة النبوّة وتجديد روح الشريعة، من خلال معالجة جذرية للانحرافات العقائديّة والسياسيّة التي واجهها المجتمع الإسلامي آنذاك. وبفضل هذا البُعد العميق، اكتسبت الثورة الحسينيّة طابع الخلود، وأصبحت مرجعًا دائمًا يُلهم عمليّات المراجعة الذاتيّة، ويُرسّخ التمسّك بالأصول الرساليّة في مواجهة التحوّلات والتحدّيات المتجدّدة.

وتُعدّ زيارة الأربعين من الشعائر المركّبة ذات الوظيفة المزدوجة، إذ تجمع في بُنيتها بين التفاعل العاطفيّ الوجدانيّ العميق مع فاجعة كربلاء، وبين الحضور الرساليّ الذي يُعيد إحياء أهداف الثورة الحسينيّة ومبادئها الإصلاحيّة. فالعاطفة الدينيّة المتولّدة من استذكار المأساة تتجاوز حدّ التأثّر إلى المساهمة الفاعلة في تعبئة الشعور الجمعيّ وتحفيز الإرادة على التغيير، وفي الوقت نفسه تؤدّي هذه الشعيرة وظيفة تجديد العهد والميثاق السنويّ مع القيم التي استشهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، وعلى رأسها: مقاومة الظلم، والانحراف، والاستبداد، والدعوة إلى إقامة العدل، والتمسّك بالأصالة الرساليّة. ومن خلال هذا الحضور المتكرّر والمليونيّ، تتحوّل زيارة الأربعين إلى مناسبة سنويّة لإحياء الوعي الجماعيّ، وتنشيط المسؤوليّة الأخلاقيّة، وتوطيد الانتماء إلى المشروع الحضاريّ الإسلاميّ الذي يمثّله الإمام الحسين وأهدافه الخالدة.

فالمشاركة في هذه المسيرة، بما تحمله من شعور بالانتماء الجماعيّ، وتأكيد على سيرة الحسين الإصلاحيّة، تُفعّل وظيفة الشعائر الدينيّة في الوعي العام، وتُحوّلها إلى ممارسة حضاريّة تعبويّة تُنتج وعيًا جماعيًّا رساليًّا يتجاوز الحدث التاريخيّ، إلى مواجهة التحدّيات المعاصرة.

وقد أكّد الإمام الحسين عليه السلام هذه الوظيفة المستدامة في كلماته ومواقفه، فجعل

الإصلاح غاية حركته، وجعل من شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معياراً للجدارة الدينيّة والسياسيّة، ودعامة في تمييز الحاكم الحقّ من الجائر.

وما تَشهده المجتمعات الإسلاميّة اليوم، من ارتباط وجدانيّ عميق بالحسين عليه السلام، ليس مجرّد انفعال وجدانيّ، بل هو تجسيد لحاجة الأمّة المتواصلة إلى مشروعٍ إصلاحيّ أصيل، تُعيد فيه قراءة الواقع، وتبحث عن سبل الخلاص من التبعيّة والانحراف، في ضوء مدرسة كربلاء.

ولهذا، يُمكن القول إنّ زيارة الأربعين باتت تمثّل في أبعادها العميقة منصّة سنويّة لتجديد المشروع الحضاريّ الإسلاميّ على أساس الإصلاح، وميزاناً لصدق الالتزام بهذا النهج في السلوك الفرديّ والجماعيّ.

٥. التعبئة الاجتماعيّة وبناء الوعي الجماعيّ

تُعتبر التعبئة الشعبيّة إحدى الركائز الأساسيّة في بناء الحضارات وتحوّل المجتمعات من حالة الركود إلى الفاعليّة التاريخيّة. وتُعدّ الحضارة نتاجاً مركّباً من التفاعل بين الطاقات المادّيّة والقيم الروحيّة، حيث يُقاس نضجها بمدى قدرة المجتمع على توجيه إمكاناته الجماعيّة نحو مشروع جامع ذي أفق إنسانيّ وأخلاقيّ. وفي هذا السياق، تتجلّى التعبئة الاجتماعيّة بوصفها إحدى الآليّات الحيويّة التي تُفعّل الوعي الجمعيّ، وتنظّم المشاركة الشعبيّة في مسار التحوّل الحضاريّ المستند إلى المبادئ والمقاصد العليا.

وقد أوضح عالم الاجتماع المعاصر تشارلز تيلي أنّ التعبئة تعبّر عن عمليّة تحوّل الأفراد من كونهم مجموعات متفرّقة وسلبيّة إلى قوّة اجتماعيّة فاعلة ومنظّمة تُشارك في الحياة العامّة وتُعيد تشكيل المجال السياسيّ والاجتماعيّ (تيلي، ١٣٨٥، ص١٠٤). من هنا، لا يمكن لأيّ مشروع حضاريّ أن يُحقّق أهدافه دون خلق حالة من الاستنفار الشعبيّ الواعي، وتهيئة البُنى الحاضنة للمشاركة العامّة في عملية التغيير والبناء.

في هذا الإطار، تُمثّل مسيرة الأربعين مثالًا حيًّا وملموسًا على هذه التعبئة الحضاريّة، إذ تُشارك فيها جموع غفيرة من المؤمنين من مختلف الطبقات والمكوّنات والأقطار، ضمن حركة شعائريّة منضبطة تُجسّد إرادةً جماعيّة واعية. هذه المشاركة الجماهيريّة لا تقتصر على الفعل الدينيّ، بل تنطوي على مظاهر التكافل، والتنظيم الذاتيّ، وتحقيق الانضباط الطوعيّ، ممّا يجعلها تجربةً عمليّة في تحويل الشعائر إلى منصّة لبناء الهويّة المشتركة وتعزيز روح التضامن الاجتماعيّ والرساليّ.

وقد أكّد القرآن الكريم على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران، ١٠٣) ، مشيرًا إلى أنّ الوحدة والاعتصام الجماعيّ بالقيم الإلهيّة يشكّلان أساس البنية الحضاريّة السليمة. فكلّما تمكّنت الجماعة من تجاوز التفرّق والأنانيّة نحو التوحّد حول القيم، كانت قادرة على مواجهة التحدّيات وبناء مشروعها الرساليّ بتماسك وفاعليّة.

وفي ضوء هذه المعطيات يُمكن اعتبار التعبئة التي تُنتجها مسيرة الأربعين عاملًا فاعلًا في توجيه البنية الاجتماعيّة نحو التغيير، ليس فقط في المستوى الدينيّ أو الشعائريّ، بل أيضًا في المستوى الحضاريّ الأوسع، بما يشمل إعادة تعريف العلاقة بين الفرد والجماعة، وتعزيز ثقافة الانتماء، والمسؤوليّة، والمشاركة في بناء مستقبل يتأسّس على العدل والقيم الإنسانيّة العليا.

ج. الطاقات الحضاريّة لمسيرة الأربعين الحسينيّة

إنّ نشوء الحضارات الكبرى في التاريخ لم يكن يومًا وليدَ مصادفةٍ أو فعلٍ فجائيّ، بل كان دومًا نتيجةً لتحوّلات ثقافيّة عميقة تُعيد تشكيل بنية الوعي الجمعيّ، وتُمهّد لتأسيس نمطٍ جديد من الحياة يقوم على منظومة متكاملة من القيم والمعاني المشتركة. فالثقافة، بوصفها حاضنة الهويّة الجماعيّة ومنظومة القيم والتصوّرات والممارسات، تُشكّل الركيزة الأولى التي يقوم عليها البناء الحضاريّ. وبحسب

بعض المفكّرين، فإنّ الثقافة لا تُحرّك التاريخ فحسب، بل تُشكّل معايير التمييز بين الحضارات، وتُحدّد زاوية النظر الإنسانيّ إلى أيّ تجربة حضاريّة (إبراهيم نژاد، ١٣٩٦، ص ٢٣).

في المقابل تُجسّد الحضارة بوصفها تجلّيًا ماديًّا ومنظّمًا للثقافة، المجال الذي تنتشر فيه القيم والمعاني وتتجسّد في الواقع الاجتماعيّ من خلال المؤسّسات والأنماط السلوكيّة والبنى العمرانيّة. فالحضارة لا تكون مزدهرةً إلا إذا كانت الثقافة التي تستند إليها قادرةً على التحفيز، والتعبئة، وبثّ الحيويّة في مفاصل المجتمع.

ضمن هذا الأفق التبادليّ بين الثقافة والحضارة، تُعتبر **مسيرة الأربعين الحسينيّة** تجربةً شعائريّة تعبويّة تتضمّن طاقات ثقافيّة هائلة، من شأنها أن تُفعّل الوعي الحضاريّ لدى الأمّة، وتفتح أمامها أفقًا جديدًا في تشكيل مشروع التمدّن الإسلاميّ المعاصر. فهذه المسيرة، التي تتكرّر سنويًّا بمشاركة ملايين الزائرين من مختلف البلدان، تمثّل ساحةً مفتوحة للتفاعل الإنسانيّ والتلاقح الثقافيّ، وتتجلّى فيها أرقى مظاهر الإيثار والتكافل والانضباط والخدمة والمحبّة.

إنّ المظاهر التي ترافق مسيرة الأربعين من الاحترام المتبادل، وتحمّل المشقّة، وتقديم الخدمات المجّانيّة، والعيش المشترك، والتطوّع الجماعيّ، وتجاوز الحواجز اللغويّة والمذهبيّة والعرقيّة- ليست مجرّد أفعال عاطفيّة، بل تُعبّر عن نظامٍ متكامل من القيم الإنسانيّة النبيلة التي تقوم على حبّ الله وأوليائه، وخدمة الإنسان، والانفتاح على الآخر. وهذه العناصر، بحسب الباحثين في فلسفة الحضارة، تُشكّل جوهر التحوّل الحضاريّ الحقيقي، لأنّ التحوّلات الكبرى تبدأ عادةً من إعادة تشكيل نظام الميول والعواطف والذوق الجماليّ في المجتمع (جمالي، ١٣٩٥، ص ٣٨).

ففي النموذج الحداثيّ، يتمحور الذوق الجمعيّ حول حبّ الذات والمصلحة والمنفعة، بينما في نموذج الأربعين نلاحظ هيمنة حبّ الآخر، والتضحية، والارتباط بالقيم العليا. ومن هنا، يُمكن اعتبار الأربعين فرصةً نوعيّة لإعادة بناء

الحسّ الجماليّ الجمعيّ على أسسٍ دينيّة وروحيّة، تمهّد لتشكيل إنسانٍ حضاريّ متوازن.

وعلاوةً على ذلك، تُقدّم مسيرة الأربعين الإسلام بوصفه قوّةً حيّة وفعّالة في إنتاج المعنى، وبناء الهويّة، وتنظيم المجال العام، لا كمنظومة مغلقة تقليديّة. فهي تُعيد وصل الدين بالواقع، وتُبرز طاقاته في بناء الوحدة، وتحقيق المشاركة، وتفعيل القيم، وتجديد الخطاب، وإحياء الوعي التاريخيّ المرتبط بالمقاومة والتحرّر.

تجدر الإشارة إلى أنّ مسيرة الأربعين تُجسّد طقسًا عباديًّا عميقًا من جهة، ومن جهة أخرى تُشكّل منصّة حضاريّة حيّة تتقاطع فيها الطاقات الشعبيّة والرمزيّة والسياسيّة والثقافيّة. ولهذا، فإنّها تُمثّل فرصةً فريدةً لتفعيل مشروع التمدّن الإسلاميّ الجديد، على أن تُرافَق برؤية علميّة وثقافيّة واستراتيجيّات مؤسّسيّة متكاملة، تضمن انتقالها من مجرّد فعلٍ موسميّ إلى ممارسة بنائيّة مستدامة ذات بُعد رساليّ. وبناءً على ما تقتضيه حدود هذه الدراسة من تركيز وانتقاء، سيتمّ تناول اثنين من أبرز الطاقات الحضاريّة الكامنة في ظاهرة الأربعين، بوصفهما نموذجين دالّين على إمكانيّة توظيف هذه الشعيرة في مشروع التمدّن الإسلاميّ المعاصر، مع التأكيد على أنّ مجالات البحث في هذا الموضوع أوسع ممّا تسمح به هذه الورقة.

١. تحقيق مفهوم الأمّة في إطار وحدة القيادة والهدف

تُعدّ زيارة الأربعين واحدةً من أبرز الشعائر الدينيّة التي تحمل في طبيعتها بعدًا عابرًا للحدود، وهو ما يُكسبها قدرة فريدة على الإسهام في تهيئة الأرضيّة الثقافيّة والروحيّة لتجسيد مفهوم «الأمّة الواحدة». ومن أبرز ملامح هذا البُعد أنّ هذا الحدث المليونيّ السنويّ يُعيد تشكيل الحشود المشاركة ضمن بنيان أمميّ موحّد، ولو في صورة ظرفيّة ومؤقّتة؛ إذ يتحرّك ملايين الزوّار، القادمين من أرجاء مختلفة من العالم، باتّجاهٍ واحد، وغايةٍ واحدة، تحت رايةٍ واحدة، وبقيادةٍ رمزيّة واضحة.

والمثير في هذا النموذج الجماهيريّ أنّه يحدث في ظروف أمنيّة هشّة نسبيًّا، ورغم ذلك، تُقام المسيرة بكامل الأمن والانضباط، وهو ما يُثير تساؤلات عميقة عن سرّ هذا التنظيم الاجتماعيّ الذاتيّ، في وسطٍ إقليميّ مليءٍ بالتوتّرات السياسيّة والتهديدات الأمنيّة. ويُلاحظ أنّ هذه الحشود تضمّ أفرادًا من مشارب ثقافيّة، ولغويّة، ووطنيّة مختلفة، يسيرون جنبًا إلى جنب، دون سابق معرفة، ضمن منظومةٍ تعبويّة تتجاوز الانتماءات الضيّقة، وتشير إلى إمكانيّة بناء أمّةٍ عابرة للحدود (طاهر زاده، ١٣٩٠، ص٥٨).

تتميّز هذه الظاهرة الدينيّة بمشاركة واسعة من مختلف الأطياف الدينيّة والمذهبيّة، حيث يحضر فيها المسلمون الشيعة والسنّة، إلى جانب أتباع ديانات أُخرى كالمسيحيّة والإيزيديّة والزردشتيّة، سواءً كزوّارٍ أو خدّامٍ للزوّار، في مشهد تعبيريّ فريد عن الانفتاح والتعايش والتكافل الإنسانيّ. وهذا يشي بأنّ الحسين عليه السلام بات يُمثّل رمزًا إنسانيًّا عالميًّا للحرّيّة والتضحية، يتجاوز الحواجز الطائفيّة والهويّاتيّة.

وهكذا، يُمكن القول إنّ الأربعين تُعيد استحضار الهويّة الأمميّة الجامعة، بوصفها نمطًا حيًّا من الوحدة الإسلاميّة، وامتدادًا لثقافة تستمدّ جذورها من التاريخ، وتُجسّد نفسها اليوم في وجه الهيمنة الثقافيّة الغربيّة، لتُعيد بثّ الشعور بالانتماء إلى أمّةٍ واحدة.

وقد كان لهذا الانتماء جذوره العاطفيّة والعقائديّة العميقة؛ فمحبّة الإمام الحسين عليه السلام شكّلت عاملاً محوريًّا في صياغة هذا الاجتماع الكبير، كما ورد في الحديث الشريف: «**إنّ لِقَتْلِ الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدًا**» (النوري، ١٤٠٨، ج١، ص٣١٨).

ومن هذا المنطلق، يُمثّل هذا الاجتماعُ المليونيّ أنموذجًا حيًّا لتجلّي فكرة «الأمّة الإسلاميّة» في الواقع، من خلال ما يحمله من مؤشّراتٍ على قابليّته للمساهمة في مشروع التمدّن الإسلاميّ الجديد.

٢. صحوة المسلمين وترسيخ خطاب مناهضة الاستكبار

تُعدّ الصحوة الإسلاميّة من أبرز التحوّلات المعاصرة في العالم الإسلامي، حيث عبّرت عن توق الشعوب إلى التحرّر من هيمنة الاستبداد الداخليّ والاستكبار العالميّ، وعن رغبتها في استعادة الهويّة الدينيّة الأصيلة وتفعيل حضور القيم الإسلاميّة في الحياة العامّة. ومن هذا المنطلق، تكتسب زيارة الأربعين أهمّيّة خاصّة بوصفها إحدى الظواهر التي تُجسّد هذا الوعي الجمعيّ المتنامي، وتُسهم في تعزيزه من خلال تجديد الارتباط بالنهضة الحسينيّة، التي شكّلت منذ انطلاقتها منبعًا أساسيًّا للإيقاظ الدينيّ والاجتماعيّ والسياسيّ في الوجدان الإسلاميّ.

وقد ورد في نصّ «زيارة الأربعين» تبيانٌ واضح لهدف هذه الإمام الحسين عليه السلام إذ يُقال فيها: «**وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة**» (القمي، ١٤٣١، ص ٢٤٩). وهذه العبارة تعبّر عن طبيعة المشروع الحسيني بوصفه حركة اصلاحية لتحرير العقول من الجهل والضلالة، وإنقاذ النفوس من الانحراف، وبناء مجتمعٍ واعٍ متجذّر في الهداية الإلهيّة.

أمّا في السياق المعاصر، فقد تحوّلت الأربعين إلى مظهرٍ فعّال من مظاهر الحراك الثقافيّ المقاوم، حيث أصبحت شعارًا رمزيًّا للحرّيّة والكرامة، ومنصّة لتجديد العهد على رفض الظلم والطغيان. إنّ حضور الملايين من الزائرين في هذا المسير السنويّ، تحت شعار الولاء لسيّد الشهداء عليه السلام، إنّما يُمثّل تجسيدًا حيًّا لثقافة المقاومة والصمود. ولا يخفى أنّ هذا التجمّع الجماهيريّ يُثير الدهشة في أوساط المراقبين، نظرًا لما يتّسم به من انضباط، وتنظيم، وسِلميّة، رغم التحدّيات الأمنيّة والاختلافات العرقيّة والمذهبيّة. وقد أشار بعض الباحثين إلى أنّ ثقافة عاشوراء والأربعين قد شكّلت مرجعيّة لحركات التحرّر في العصر الحديث، حيث أضحت مفاهيم الجهاد والشهادة والمقاومة جزءًا من الوعي الجمعيّ، وأدوات لإلهام الشعوب في مواجهة الاستعمار والاستكبار(طاهرزاده، ١٣٩٠، ص ٥٨).

يحمل هذا الحراك طاقات تحويليّةً عميقة تتجلّى في قدرة كلّ مشارك على أن يصبح عنصراً فاعلًا في البناء الحضاريّ، من خلال تبنّي قيم الحريّة والعدالة والكرامة. ويتّخذ شعارُ البراءة من الظالمين والولاء للمظلومين موقعًا مركزيًّا في تشكيل الهويّة التي تعبّر عنها زيارةُ الأربعين، ممّا يُكسب هذه المناسبة بُعدًا عالميًّا يتجاوز الاعتبارات الجغرافيّة والمذهبيّة.

وفي هذا الإطار، تُبرز المشاركة الواسعة في الأربعين قدرات الأمّة الإسلاميّة على التعبئة المدنيّة السلميّة، والتحدّي الرمزيّ لقوى الهيمنة والاستكبار. وقد أضحت هذه المسيرة مصدر قلقٍ حقيقيّ للدوائر المعادية للإسلام الأصيل، التي تسعى إلى تشويه أو تحجيم هذه الظاهرة، إدراكًا منها لأثرها التعبويّ والوجدانيّ في إحياء روح الرفض والوعي الجمعيّ المقاوم.

الخاتمة والإستنتاج

تُعدّ مسيرةُ الأربعين ظاهرةً دينيّةً واجتماعيّةً بارزة في العالم الإسلاميّ، كما تتجاوز ذلك إلى الفضاء الدينيّ العالميّ، باعتبارها تعبّر عن منظومة من المبادئ والقيم التي تأسّس عليها نهج الإمام الحسين عليه السلام وثورته الخالدة. ومن هذا المنطلق، سعت هذه الدراسة إلى تحليل أبعاد هذا الحدث بمنهجٍ وصفيّ-تحليليّ، للكشف عن طاقاته الكامنة في مسار التحوّل الحضاريّ وبناء التمدّن الإسلاميّ المعاصر.

وقد بيّنت الدراسة أنّ مسيرة الأربعين تمتلك من الإمكانات التعبويّة والرمزيّة والاجتماعيّة ما يؤهّلها لأن تكون عنصرًا مساعدًا في مشروع التمدّن الإسلاميّ الجديد، من خلال ما تُنتجه من أنماط تضامنٍ شعبيّ، وخدمةٍ تطوعية، وتواصلٍ عابرٍ للحدود. كما ظهر أنّ استحضار مفاهيم مثل الوحدة الإسلامية والعدالة ومقاومة الظلم يشكّل جزءًا من البنية القيمية التي تتجلّى في هذه الظاهرة.

النتائج

١. تُظهر زيارة الأربعين أنّ الشعائر الدينية الكبرى يمكن أن تتحوّل إلى فضاءات فاعلة لإنتاج الوعي الجمعي، من خلال المشاركة الواسعة والتجربة الروحية المشتركة.

٢. يتجلّى البعد الحضاريّ للزيارة في منظومة قيمية عملية تتكرّر سنويًا، أبرزها: الخدمة التطوعية، الضيافة المجانية، التكافل الاجتماعي، والانضباط الجماعي، بما يمنح الظاهرة أثرًا يتجاوز الإطار التعبّدي التقليدي.

٣. إنّ الطابع العابر للحدود الجغرافية والطائفية في مسيرة الأربعين يعزّز إمكان توظيفها بوصفها مجالًا رمزيًا جامعًا، يساهم في بناء مشتركات ثقافية وقيمية بين شرائح متعددة داخل العالم الإسلامي.

٤. يتوقف تحويل هذه الظاهرة من فعل شعبي تلقائي إلى رافعة حضارية طويلة الأمد على وجود تأطير معرفي وثقافي متوازن، يحفظ روحانية الشعيرة ويعزّز في الوقت نفسه إمكاناتها في البناء المدني والاجتماعي.

فهرس المصادر

* القرآن الكريم

١. آذرنگ،عبدالحسين (١٣٩٠). تاريخ تمدن، تهران، كتابدار.

٢. آشوری، داریوش(١٣٨١). تعريف و مفهوم فرهنگ،تهران، آگه.

٣. ابراهيم نژاد، محمد رضا (١٣٩۶). واكاوی مفهوم تمدن نوين اسلامی با رويكرد معنا شناختی، دوفصلنامه پژوهش های تمدن نوين اسلامی، ش ١.

٤. ابن شهر آشوب، محمد بن على (١٩٩١). مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، بيروت، دار الأضواء.

٥. ابن فارس، أحمد بن زكريا (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة، بيروت، دارالفكر.

٦. ابن منظور،محمد بن مكرم (١۴١۴). لسان العرب، بيروت، دارالتراث العربی.

٧. توسی،موريزيو (١٣٧٧). تنوع های فرهنگی و منشا تمدن های اوليه، چيستی گفتگوی تمدن ها، مجموعه مقالات، تهران، سازمان مدارك فرهنگی انقلاب اسلامی

٨. تيلي (١٣٨٥)، چارلز، از بسيج تا انقلاب، مترجم: على مرشدی زاده،تهران، انتشارات پژوهشكده امام خمينی رحمه الله.

٩. جعفر الشيخ إدريس، ٢٠٠١، الإسلام والتحوّل الحضاري، مجلّة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد ١٤، ص ٤٥.

١٠. جمالي، مصطفی (١٣٩٥). نقش اربعين در مهندسی تمدن اسلامی،مسجد و مهدويت، پاييز و زمستان ، شماره ٢، ص ٢٧-۴۶.

١١. الجوهري،اسماعيل بن حماد (١٣٧۶). الصحاح اللغة، بيروت، دارالعلم للملائين.

١٢. حسن حنفي (١٩٩۴)، التراث والتجديد، بيروت، دار الفكر.

١٣. دورانت،ويليام جيمز (١٣٦٥). درآمدی بر تاریخ تمدن، ترجمه احمد بطحایی، تهران، انتشارات انقلاب اسلامی.
١٤. الصدوق، جعفر بن محمد (١٣٥٦)، كامل الزيارات، دار المرتضوية، النجف الأشرف.
١٥. طاهرزاده، اصغر (١٣٩٠). اربعین حسینی؛ امکان حضور در تاریخی دیگر، اصفهان، لب المیزان.
١٦. الطوسی، خواجه نصیر الدین (د.ت). اخلاق ناصری،تهران،امیرکبیر.
١٧. الطوسي، محمد بن حسن (١٤١٧). تهذيب الأحكام، طهران، مكتبة الصدوق.
١٨. طه، عبدالرحمن (٢٠١٢)، **كتاب روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الأئتمانية**، دار البيضاء – المغرب.
١٩. القمي،شيخ عباس (١٤٣١). نفس المهموم،نجف، المكتبه الحيدريه.
٢٠. لنيتون، رالف (١ی٣٣٧). سیر تمدن، ترجمه پرویز مرزبان، تهران، تابان.
٢١. مالك بن نبي (٢٠٠١)، شروط النهضة، دار الفكر، بيروت، ط١٢.
٢٢. المجلسي، محمد باقر (١٩٨٣) . بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٢٣. مطهری،مرتضی (١٣٩٠). مجموعه آثار شهید مطهری، تهران،صدرا.
٢٤. المفيد، محمدبن محمد (١٤١٢). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
٢٥. مقرم، السيد عبدالرزاق (١٤٢٦). مقتل الحسين، بيروت، موسسه الخرسان.
٢٦. موسوی ،سیدمحمد ودیگران (١٣٩٥). تأثیر برگزاری مراسم پیاده روی اربعین حسینی در کشور و افزایش شور و اشتیاق بین مردم و بخصوص نوجوانان و نقش سازنده آن بر روی تربیت نسل ارزشی در کشور، مطالعات روانشناسی و علوم تربیتی، شماره ٣، ص ١٠١-١١٤.

۲۷. نجمی، محمد صادق (۱۳۷۵). پیام عاشورا، قم ،جامعه مدرسین حوزه علمیه قم دفتر انتشارات اسلامی
۲۸. نصر، حسین (۱۳۸۴). علم و تمدن در اسلام،ترجمه احمد آرام، تهران، علمی و فرهنگی.
۲۹. النوری، حسین (۱۴۰۸). مستدرك الوسائل، بیروت، انتشارات آل البیت لاحیاء التراث.